فتح الودود
شرح حائية أبي بكر بن أبي داود

الشيخ رزق بن حامد القرشي
-حفظه الله تعالى-

http://ahmedbazmool-meerathnabawee.com

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات ، أحمده سبحانه وأشكره ، وأُثْني عليه الخير كلّه ، سبحانك لا أُحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيت على نفسك ، وأصلّي وأسلّم على المبعوث رحمة للعالمين ، نبيّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد :

أيُّها الإخوة والأبناء ، أيتها الأخوات الفاضلات ، وصلْنا في هذا الكتاب وهو :

" فتح الودود شرح قصيدة أبي بكر بن أبي داود " – رحمه الله – إلى قوله :

وَلَا تُنْكِرن جَهْلاً نكيراً ومُنْكَرا

وَلَا الحَوْضَ والميزان إنَّك تُنْصَحُ

وفي هذا البيت يتطرّق المؤلّف أو النّاظم – رحمه الله – إلى : (الإيمان بالغَيْبِيَّات) إنكار سؤال القبر ، وإجلاس الميّت في قبره ، وسؤاله هذا قول الفلاسفة ، فهم يُنكرون اِختلاف أضلاعه في القبر ، كلُّ ذلك لِمُجرّد أنّهم لم يرَوْا ذلك ، هم يقولون : " نحن نضع الزِّئْبَق على الميّت وهو أسرع الأشياء تحرُّكا ومُرُوقا ، وإذا جِئنا من الغد وجدنا الزِّئبق على ما هو عليه ، وأنتم تقولون : إنَّ الملائكة يأتون وهذه تجاربٌ مُشاهدةٌ وليس لها من علم الغيب شيء " .

يقول في هذا ردًّا عليهم الشيخ العلّامة الفقيه – رحمه الله – مُحَمَّد بن صالح العثيمين ، في شرحه على " العقيدة الواسطية " : " إنَّ هذا من عِلم الغيب ، ومن الجائز أن تكون أضلاعه مختلفة فإذا كُشِفَ عنها أعاده الله ورَدَّ كل شيء إلى مكانه امتحانًا للعباد ، لأنّها لو بقيت مختلفة ونحن قد دفناه و أضلاعه مستقيمة ، صار الإيمان بذلك إيمان مُشاهدة أو إيمان شَهادة " .

وكذلك تجربة الفلاسفة حول وضع الزِّئْبَق على الميّت في قبره ، يقول الشيخ : " من الجائز أيضًا أن الله – عزّ وجلّ – يردّ الزِّئْبَق إلى مكانه بعد أن تحوّل بالجلوس " .

و يقول – رحمه الله – : " أُنْظُروا الرّجل في المنام يرى أشياء لو كان على حَسَبِ رؤيته إياها ما بقي في فراشه على السرير ، وأحيانًا تكون رؤيا حقّ من الله – عزّ وجلّ – فتقع كما كان يراها في منامه ، ومع ذلك نحن نؤمن بهذا الشيء ، والإنسان إذا رأى في منامه ما يكره أصبح وهو مُتكدِّر ، وإذا رأى ما يسرّه أصبح وهو مستبشر ؛ كل هذا يدلّ على أن أمور الرّوح ليست من الأمور المشاهدة ولا تُقاس أمور الغيب بالمُشَاهَد ، ولا تُردّ النّصوص الصّحيحة لاستبعادنا ما تدلّ عليه حسب المُشاهدة " .

والأصل في ذلك كلّه ما صحّ عند الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : (إذا قُبِرَ الميّتُ (أو قال أحدكم) أتاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدانِ أزرقانِ يُقَالُ لأحدِهما : المُنْكَر والآخر النَّكِير ، فيقولانِ : ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل ؟ فيقول ما كانَ يقول : هو عبدُ اللهِ ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأن مُحمَّدًا عبدهُ ورسولهُ ، فيقولان : قد كنَّا نعلمُ أنَّكَ تقولُ هذا ، ثم يُفْسَح له في قبرهِ سبعونَ ذراعًا في سَبعِين ، ثمّ يُنوَّرُ له فَيُسَرَّ ، ثمّ يقالُ لهُ : نَمْ ، فيقولُ أَرجِعُ إلى أهلي فأُخبرهُم ؟ فيقولانِ : نَمْ كنومةِ العروس الذي لا يوقظهُ إلا أحبُّ أهلهِ إليه ، حتى يبعثهُ الله من مضجعهِ ذلك . وإن كان مُنافقًا ؛ قال : سمعتُ الناسَ يقولون فقلت مثلهُ لا أدري . فيقولان : قد كنّا نعلمُ أنكَ تقولُ ذلكَ . فيقالُ للأرض : اِلتَئِمي عليهِ ، فتَلْتَئم عليهِ فتختلف أضلاعهُ فلا يزالُ فيها مُعَذّبًا حتى يبعثهُ الله من مضجعهِ ذلك) رواه الترمذي .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ – : (إِذَا مَاتَ المَيِّت عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّة ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّار فَمِنْ أَهْلِ النَّار ، ثُمَّ يُقَالُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّه يَوْمَ القِيَامَة) رواه التّرمذي أيضًا .

فهذا هو الأصل في الإيمان به والتّسليم ، لأنّ ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله ، والله جلّ جلاله قد امتدح المؤمنين بالغيب ، وأنّها صفةٌ للمتّقين ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5) ﴾ 1

والحوضُ في الأصل : مُجمّع الماء ، والمراد به هنا ؛ حوض النّبيّ – ﷺ – ، والحوض ثابت في السُّنّة عن النّبيّ – ﷺ – قال : (وإني والله لأنظُرُ إلى حَوضي الآنَ) 2

وقوله – ﷺ – : (ومِنْبَرِي على حَوْضِي) رواه البخاري .

وأهل السّنّة يؤمنون به ويدْعون الله – عزّ وجلّ – أن يُسقيهم منه شربة لا يظمأُون بعدها أبدا ، وكذلك أيُّها الأحبة إنكار الميزان ، أو تأويلُه إلى غير ما هو مذكور في كتاب الله وسنّة رسوله – صلّى الله عليه وسلم – ، فذِكر الميزان جاء في كتاب الله – عزّ وجلّ – ، وفي سنّة رسوله – ﷺ – جاء ذكره بالجمع والفرد في قوله تعالى :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ 3

وفي قوله تعالى : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم ﴾ 4 .

وكذلك ورد ذِكر الميزان في السُّنّة بالفرْد ، في قول النّبيّ – ﷺ – : (كلمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمنِ ، خفيفتانِ على الِّلسانِ ، ثقيلتانِ في الميزان : سبحان الله وبحمدِه ، سبحان اللهِ العظيم) رواه البخاري ومسلم .

وفي مثل ما ثبت من حديث ابن مسعود – ﷺ – : (أنه كان يَجْتَنِي سواكًا من الأراك ، وكان رضِيَ اللهُ عنه دقيقَ السّاقين ، جعلتِ الريح تُحرِّكُه ، فضحك الصّحابةُ – رضِيَ اللهُ عنهم– ، فقال النبيُّ –صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– : مِمَّ تضحكونَ ؟ قالوا : من دِقَّة ساقَيْه . قال : والّذي نفسِي بيدِه ؛ لهما في الميزان أثقلُ من أُحد) 5 .

---

[1]) سورة البقرة [الآية : 1 – 5] .
[2]) الراوي : عقبة بن عامر المحدث : البخاري المصدر : صحيح البخاري الجزء أو الصفحة : 6426 حكم المحدث : [صحيح] .
[3]) سورة الأنبياء [الآية : 47] .
[4]) سورة الأعراف [الآية : 8 – 9] .
[5]) الراوي : عبدالله بن مسعود المحدث : ابن عثيمين المصدر : مجموع فتاوى ابن عثيمين الجزء أو الصفحة :502 /8 حكم المحدث : [ثابت] .

و الشّاهد هنا أنّه ذكر في هذا الحديث : الميزان بالفرْد ، وظاهر هذه النّصوص أنّ الميزان حِسّي ، يقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – رحمه الله – : " فتُنصَبُ الموازين فَتُوزن بها أعمال العِباد ، والآيات والأحاديث الثّابتة في السُّنّة تُشير إلى ذلك ، وأيضًا فيها رد على المعتزلة ، الّذين أنكروا أنّ هناك ميزانًا حِسّيًا " ، وقالوا : لا حاجة له لأنّ الله تعالى قد علم أعمال العباد و أحصاها ، ولكن المُراد بالميزان : الميزان المعنوي ؛ الذي هو العدل ، وتبعهم في ذلك سيد قطب في سورة الأعراف في " ظلال القرآن " ، ولا شكّ أنّ قول المعتزلة باطل ، لأنّه مُخالف لظاهر اللّفظ وإجماع السّلف ، ولأنّنا إذا قلنا أن المراد بالميزان العدل ؛ فلا حاجة إلى أن نُعَبِّر بالميزان بل نُعبِّر بالعدل ، لأنه أحبّ إلى النفس من كلمة ميزان ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ 6 ولم يقل بالميزان أو بالوزن .

وخلاصة القول أن منكرًا ، ونكيرًا ، والحوض ، والميزان ، كل ذلك حقٌّ لا جدال فيه ثابت بالكتاب والسُّنّة ولا مجال للإنكار ولا التأويل ، وهو ما عليه سلف هذه الأمّة – ﷺ ورحمهم أجمعين – .

ولذلك – أيُّها الأحبّة – عندما يبتعد الناس عن تعلُّم عقيدةِ السّلف – ﷺ – في هذه الأبواب وغيرها من أبواب المُعتقد ؛ تجد أنّهم ينجرفون نحو مقالات المُتفلسفة ، ومقالات عُلماء السُّوء الّذين يُحرّفون المُعتقد على ما يذهبون إليه من أنواع المعتقدات والمُبْتَدَعات المخالفة لما عليه نهج السّلف .

ونحن نحمد الله – عزّ وجل – الّذي وفّقنا إلى مُعتقد أهل السُّنّة والجماعة ، ونسأل الله أن يثبّتنا عليه حتى نلقى الله – عز وجل – ،

فلذلك أهل السّنّةِ ؛ وأخُصُّ علماء أهل السُّنّة يُحذِّرون كثيرًا من أمور منها :

يُحذِّرون من القراءة في كتب أهل البدع ، ويُحذِّرون من قراءة كتب المتكلِّمين ، ويُحذِّرون من قراءة كلّ من ألّف وهو مُخَالِف لمنهج أهل السّنّة والجماعة يُحذّرون من قراءة كتبهم ، ثمّ أيضًا يُحذِّرون النّاس من الجلوس مع أهل البدع .

---

6) سورة النحل [الآية : 90] .

لأنّهم يقولون : أن البدع خطافة ؛ فقد يجلس من ليس عنده فهمٌ في الكتاب والسّنّة ، أو عنده قصور في تعلم منهج أهل السّنّة والجماعة وخاصةً في المُعتقد ، فيجلس مع هؤلاء فتنطلي عليه بدعة فتخطفه وتُخرجه من السّنّة إلى الابتداع – والعياذ بالله – .

فلذلك هذه الممنوعات وهذه الأمور الّتي يتكلّمون فيها ويمنعون النّاس من الجلوس حماية لعقيدة أهل السّنّة والجماعة ، حماية لمعتقدهم ، وحماية للنّاس ألّا يقعوا في هذه البِدع ، فيُقبلوا على الله – عز وجل – وهم على هذه المعتقدات التي فيها من المخالفات ومن البدع ومن الشِّركيّات ما الله به عليم .

فلذلك عليك يا صاحب السُّنّة أن تبقى مع أهل السُّنّة ، وعليك يا صاحب السُّنّة أن تقرأ في كتب أهل السُّنّة ، وعليك يا صاحب السُّنّة أن تجلس مع أهل السُّنّة ومع علمائهم ، همُ الذين تَسلمُ بإذن الله إذا جلست معهم ، ويدُلّونَك على ما تجهله .

وهذه – ولله الحمد – ميزة في أهل السُنّة والجماعة ، – ولله الحمد – أنّهم لا يجلس إليهم أحد إلّا وبفضلٍ من الله – عز وجلّ – يُصَحَّح مُعتَقَدُهُ ، ويكون له ثباتًا عليه ، – نسأل الله العافية والسلامة – ، ونسأل الله – عزّ وجلّ – أن يُثبّتنا على الحقّ .

ثمّ انتقل – رحمه الله – إلى موضوع آخر ؛ وهو رحمة ربّ العالمين في الآخرة ، وهذا ما عَنْونتُ لهُ في هذا الكتاب لهذه الأبيات التي سأذكرها في هذه المسألة ، وهو قوله – رحمه الله – :

وقُل يُخرِجُ الله العَظِيمُ بِفَضْلِهِ

مِنَ النّارِ أجْسَادًا مِن الفَحمِ تُطرَحُ

عَلَى النَّهرِ فِي الفِردَوس تَحيَى بِمَائِه

كَحَبَّةِ حَمْلِ السَّيلِ إذْ جاءَ يَطفَحُ

يعني بهذا المؤلّف – رحمه الله – أنّ الله تعالى يُخرِجُ من عُصاة المؤمنين من شاء بغير شفاعة ، وهذا من نعمته ورحمته لأنه – سبحانه – رحمته سبقت غضبه ، فيشفع الأنبياء ، ويشفع الصّالحون ، والملائكة وغيرهم ، حتى لا يبقى إلّا رحمة أرحم الراحمين ؛ فيُخرج من النّار من يَخرج بدون شفاعة ، حتى لا يبقى في النّار إلا أهلها ؛ الّذين هم أصحاب النّار (ذكر ذلك ابن عثيمين في العقيدة الواسطية) .

فقد روى الشيخان البُخاري ومُسلم من حديث أبي سعيد الخدري – ﷺ – عن النّبيّ – صلّى الله عليه و آله وسلم – أنّه قال : (أنّ الله تعالى يقول : شَفَعَتِ الملَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُون وَلَمْ يَبْقَى إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِين فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّار فَيخْرج مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطّ قَدْ عَادُوا حمَمًا ، فَيُلْقِيهِم فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّة ، يُقَالُ لَهُ نَهْر الحَيَاة فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْل) رواه البخاري ومسلم .

وهذه من رحمة الله – عزّ وجلّ – بعِبادِهِ ، وهذه من رحمة الله – عز وجل – بعباده ، ولذلك أهل السّنّة يُؤمنون بما جاء في هذا من الأحاديث ، ولا يُؤوِّلون ذلك ، ولا يُكيِّفون ذلك ؛ إنّما هم يؤمنون بهذا الّذي جاء في الحديث عند البخاري ومسلم ، والله – عزّ وجلّ – أرحم بعباده من أنفسهم .

ثم انتقل – رحمه الله – إلى باب طويل وهو باب الشفاعة ويحتاج إلى درسٍ كامل نجعله في درسنا القادم – بإذن الله سبحانه وتعالى – .

ونسأل الله – عز وجل – أن يوفقنا وإيّاكم للحقّ وأن يُثبّتنا عليه ، ونسأله – جلّ وعلا – أن ينفعنا بما نقول وما نسمع إنه ولي ذلك والقادر عليه .

و – صلى الله وسلم وبارك على نبيّنا مُحمّد وعلى آله و أصحابه أجمعين – .